ابن السعود والحكومة البريطانية

كان ابن السعود في سنواته الأولى في عزلة تامة عن العالم الخارجي لم يهتم إلا بقتال ابن الرشيد وتقوية مركزه في الأماكن التي استولى عليها.

ولكنه في سنة ١٩٠٤ وجد خصماً آخر قوياً وهو الأتراك، فإن الأتراك حينما وجدوا نجم ابن السعود قد ظهر من جديد في الأفق، ونجم صديقها ابن الرشيد قد أخذ في الأفول دخلوا ميدان النزاع مؤيدين لصديقهم وهم يرون في آل سعود عامة العداوة القديمة.

فرأى ابن السعود أن يتصل بالحكومة البريطانية لعلها تتدخل في إيقاف الأتراك من التدخل في منازعات الجزيرة .

فأرسل كتاباً للسير برسى كوكس بتاريخ (٢ مايو سن ١٩٠٤) يحتج على تدخل الأتراك وإرسالهم القوات المسلحة لمساعدة ابن الرشيد[١].

وفي الوقت نفسه استلم السير برسى كوكس كتاباً آخر من الشيخ مبارك أمير الكويت مرسسلا من الأمير عبدالعزيز إلى الشيخ مبارك يلوح له فيه بأنه إذا لم يجد عضداً وتأييداً من الحكومة البريطانية ضد الأتراك فإنه يضطر لقبول مساعدة الروس الذين عرضوا مساعدتهم منذ سنة ١٩٠٣.

وكان موقف الحكومة البريطانية حرجا، فبينما هي لا تريد أن تزج بنفسها في التداخل في شؤون الجزيرة ومنازعاتها فإنها لم تكن تنظر بيعين الارتياح إلى تداخل الأتراك في قلب الجزيرة وتهديدهم لأمير الكويت، فإن ذلك يضعف مرك زها في خليج فارس ويجعله عرضة للخطر. ولذا فقد قررت أن تعين الكبتن نوكس وكيلا سياسياً لها بالكويت سنة ١٩٠٤ ليكون على كثب من مجرى

(١) استيقنا هذه المعلومات من كتاب حياة السير برسي كوكس.

الحوادث وليحيط حكومـته بحقيقة ما يقع في الجـزيرة من حوادث مع البقاء على الحياد في منازعات ابن الرشيد وابن السعـود، وإن كانت في الحقيقة تعطف على حركة ابن سعود.

ومنذ ذلك الحين أخذ مركز ابن سعود بتـوطد ويزداد قوة ومنعة حتى أصبحت ترتجف لذكر اسمه قلوب أمراء السواحل.

ففي أوائل سنة ١٩٠٦ كتب لبعض أمراء السـواحل يخبرهم بعزمه على زيارة بلادهم في الربيع فارتعدت فرائضهم وتضـاوروا فيما بينهم، وقرّ الرأي بين شيخ أوظبي وسلطان مسقط على أن يرفـعوا مخاوفهم إلى السـير برسى كوكس الذي بدوره كـتب إلى الكبتن نوكس يسـأله أن يجس نـبض الشيـخ مبـارك عن نيـات صديقه الأمير عبدالعزيز وأن يرسل إليه النصيحة بالابتعاد والكف عن التدخل في شؤون الولايت العربية الخاضعة للنفوذ البريطاني. فأبان مبارك للكبتن نوكس أن الأمير عبدالعزيـز لا يقصد أن يتدخل في شؤون هذه الولايات، وأنه لايرمي من زيارته سوى الحصول على شيء من المال من هؤلاء الأمراء مساعدة له في جهاده ضد آل رشيد والترك.

وفي نفس الوقت الذي كان يجس فيه الكبتن نوكس نبض الشيخ مبارك وصل إلى البحرين رسول من الأمير عبـدالعزيز إلى الكبتن بريدكس وأخبره بزن الأمير أصـبح يعتـقد بأن في إمكانـه طرد الأتراك من ولاية الإحسـاء وأنه يرغب في أن يعتقد محالفة مع الحكومة البـريطانية وأنه لايرى مانعاً من قبول وكيل بريطاني في الإحساء أو القطيف على شرط أن تـأخذ الحكومة البريطانية على عاتقهـا حمايته ضد الأتراك.

ولقد أخـذ الأمير عبـدالعزيز بنصيـحة الشيخ مـبارك فلم يزر ولايات الخليج

ووجه همته للقضاء على قوات ابن الرشيد، وانتهى الأمر بقتل ابن الرشيد في شهر أبريل سنة ١٩٠٥، فزال بذلك مزاحم قوى وخصم عنيد، وامتد نفوذ الأمير عبد العزيز في داخل البلاد العربية. وأصبح صاحب الكلمة الأولى. ومن ثم قرر السير برسي كوكس أن ينهج معه سياسة جديدة.

ففي يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٠٦ أرسل السير برسى برقية إلى حكومة الهند أوضح لها فيها المزايا الكبيرة التي تستفاد من وضع سياسة ثابتة للتفاهم مع الأمير.

أولا- أن تجاهل ما عرضه في عقد معاهدة مع الحكومة البريطانية ربما يدعو إلى عدواته لنا.

ثانياً- أن التفاهم مع الأمير سيزيل الشكوك والخوف من نفس سلطان مسقط وأمراء السواحل الأخرى ويعمل على تحسين العلاقات مع هؤلاء الآخرين.

ثالثاً- أن مساعدة ابن السعود ستساعدنا على وضع حد للقرصنة في شمال الخليج.

رابعاً- تبدو القرائن بزن تدخل الأتراك في شؤون أواسط بلاد العرب سيدعو إلى توحيد كلمة القبائل تحت كلمة القبائل تحت زعامة ابن سعود، فإذا لم نساعدهم ونعاضدهم فمن المحتمل أن يلجأوا إلى طلب المعونة والتعضيد من غيرنا.

ولكن حكومة الهند ووزارة الخارجية البريطانية لم تقبلا هذا الاقتراح من السير برسي كوكس لزنهم كانوا يعتقدون أن مطامع هذا الأمير لا حد لها وأن نيته هي مهاجمة الأتراك بمجرد ما تسمح له قوته والفرص الملائمة. أضف إلى ذلك

أن مثل هذا التدخل قد يدعو إلى تعكير صفو العلاقات بينهم وبين الأتراك. فإلى أن يتم التفاهم مع الروسيا على إيران ومع تركيا وألمانيا على خط سكة حديد بغداد، كان رأى الخارجية البريطانية هو الابتعاد عن الزج بنفسها في مشاكل أواسط بلاد العرب.

ولقد كان السير برسي كوكس هو السياسي البريطاني الوحيد الذي رأى بثاقب نظره أن القدر قد كتب في لوحته أن الأمير عبدالعزيز سيكون القوة السياسية المحركة الوحيدة لشبه الجزيرة بأجمعه، كان يسعى بكل جهده لربط العلائق الودية الحسنة مع هذا السياسي الداهية والقائد الفاتح العظيم.

وفي أكتوبر سنة ١٩٠٦ أرسل الأمير عبدالعزيز كتابا إلى الشيخ قاسم بن ثاني شيخ قطر يجدد فيه طلبه بوجوب عقد محالفة مع بريطانيا، وهذا أبلغه إلى الكبتن (بريدكس) الذي بدوره ألغه إل يالسير برسي كوكس بتاريخ ١٧ نوفمبر.

وقد جاء في كتاب الأمير عبدالعزيز بزن موارد نجد قد نفدت بسبب حروبه الأخيرة وأنه لذلك ينوي أن يسترد ولاية الإحساء والقطيف ليستعين بإيرادها وليخضع القبائل العاثية فساداً وليؤمن طرق التجارة والحج. وعليه فإنه يقترح أن يعقد مع الحكومة البريطانية اتفاقاً سرياً بمقتضاه تلتزم الحكومة البريطانية بالدفاع بحريا عن شواطئه ضد الأتراك إذا هو تمكن من طرد الأتراك من بلاد أجداده بدون مساعدة من الخارج. وفي مقابل ذلك لا يرى الأمير مانعا من قبول ممثل للحكومة البريطانية في بلاطه. وقد ذكر الأمير في كتابه أيضاً أنه لاينوي تنفيذ عزمه قبل مضي أربع أو خمس سنوات.

وقد أبلغ السير برسي كوكس مضمون رسالة الأمير إلى حكومة الهند وشفعها ملحًّا بضرورة تفوضه بالإجابة على رسالة الأمير لئلا يعتبر الأمير عدم الرد

مجافاة له أو إغضاء من شأنه شأن الأمراء الأخيرين الذين جاءت كتبه بواسطتهم.

وفي ٩ فبراير سنة ١٩٠٧ كتبت وزارة الهند لحكومة الهند تستنير برأيها في صيغة الرد الذي سيرسل إلى الأمير عبدالعزيز. وبعد استشارة السير برسي كوكس اقترحت حكومة الهند أن يكون الرد إلى الأمير كالآتي:

مع رغبة الحكومة البريطانية الشديدة في توثيق العلائق الودية مع الأمير طالبما هو يحترم مصالحها ومعاهداتها مع أمراء الشاطئ فإنها لترى أي ضرورة في الوقت الحاضر لإعطائه وعداً رسمياً بحمايته، فإن ذلك قد يحرض الحكومة التركية على منا وأته.

وأعقبت حكومة الهند ذلك بمذكرة تفصيلية استعرضت فيها الحالة في قلب الجزير ة وذكرت أنها على يقين من أن عاصفة آخذة الآن في الهبوب على قلب الجزيرة وأنه لابد للحكومة البريطانية أن تكون لها رأيا وسياسة معينة إزاء التقلبات المنتظرة. (وأن المسألة هي مسألة وقت فقط) قبل أن ينهار ملك الأتراك لا في شرق الجزيرة فحسب بل في الجزيرة كلها.

فإذا ما بنى ابن السعود ملكه على أنقاض ملك الأتراك فإنهم في الغالب سيهددون المصالح البريطانية في الكويت وفي إمارات الشاطئ وعليه فإنهم يلحون بقبول صيغة الرد على كتب الأمير عبدالعزيز لضمان صدافته ومعاونته قبل أن تفوت الفرضة.

ولكن لما استشارت وزارة الخارجية السفير البريطاني في الأستانة (السير نيكولاس أو كونور) فإنه نصحها بالابتعاد كلية عن التدخل في شؤون الجزيرة الداخلية، وعليه فقد أخبرت وزارة الهند حكومة الهند بأنها لا توافق على صيغة

الرد على كتب الأمير عبدالعزيز لأنه يوافق ضمنيا على تركيز سلطة السعوديين، وقالت إذا كان لابد للسير برسى كوكس أن يعطي جوابا فله أن يقول لوسطاء الأمير بما أن كتب الأمير جاءت باقتراحات - ترى حكومة جلالة الملك استحالة التعهد بها فإنها لاترى ضرورة لإرسال رد عليها. وعند هذا الحد توقفت المخابرات بهذا الصدد.

لم يفكر ابن سعود بعد ذلك في أمر تأسيس علاقاته مع الحكومة البريطانية. وتفرغ لبسط نفوذه في الداخل والقضاء على خصومه ومعارضيه ولبناء قواته المحاربة بعد ما نالها من وهن لطول القتال المتواصل.

وفي شهر مايو سننضة ١٩١٣ هجم ابن سعود على الهفوف فاحتلها وأرسل أسرى الترك إلى الساحل ثم أعقب ذلك باحتلاله القطيف والعقير فتقهقر الترك إلى البحرين، وهنالك وصلتهم إمدادات جديدة فحملوا على ابن السعود في العقير، فهزمهم شر هزيمة.

ولكن ثائرة ابن سعود ثارت ضد البريطانيين الذين سمحوا للترك باتخاذ البحرين مركزا لتجمع قواتهم وحركاتهم الهجومية ضده، فكتب إلى السير برسى كوكس يحتج على هذا العمل ويطلب إليهم مرة أخرى تأسيس علاقات ودية معه. ورجا ابن سعود السير برسى في آخر كتابه أن يخبره بصراحة عن نياته حتى يعرف موقفه منهم تماماً لويتخير الطريق الزحسن لحماية مصالحه.

وهنا يقول ابن السعود إن البريطانيين تدخلوا في الأمر ومنعوا الأتراك من الهجوم على إقليم الإحساء وأن الأتراك أرسلوا إليه وفدا فعقدوا معه معاهدة حددوا فيها موقفهم من ابن سعود لأن الحكومة البريطانية فضلت الانتظار ربما ينجلى الموقف.

في سنة ١٩١٤ اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى واندفع الأتراك يخوضو غمارها في صف الألمان، فرأى السير كوكس أن هذه خير فرصة للتفاهم مع ابن السعود.

ويقول السير برسي إن الذي حمل البريطانيين على ذلك هو الظروف التي كانت محيطة بالبريطانيين فجناحهم الأيسر في الحملة العراقية كان معرضاً لحملات البدو ومفاوضتهم مع الشريف حسين كانت سائرة في طريق النجاح فلم يبق فشي الميد إلا ابن سعود خصم الشريف والذي يخشى أن يعرقل أعمال الشريف الحسين لما بينهم من المنافسة والعداء ، ولذا فقد أسرع السير برسى كوكس إلى مقابلة ابن سعود حين غادر البصرة في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٥ حيث وصل في ٢٦ ديسمبر وقابل الأمير العزيز بن سعود لأول مرة فأعجب كل منهما بالآخر ولم يخب ظن أحدهما في الآخر.

وبعد أحاديث ودية شتى أمضى الفريقان معاهدة صداقة بين ابن سعود وبين الحكومة البريطانية تضمنت سبع فقرات(١).

ولا تختلف هذه المعاهدة عن المعاهدات الأخرى التي عقدت مع أمراء الخليج. وفي هذه المعاهدة تجلى قصر نظر مستشاري ابن سعود وجهلهم مايجري في العالم والاستفادة م الفرص المتوالية.

على أن هذا الخطأ قد أصلح بمعاهدة جدة سنة ١٩٢٧ حيث اعترف له بالاستقلال التام وبمخابرة الدول والانفاق معها حسب ما تمليه مصلحة بلاده بعد ما كانت محروماً من هذا الحق في معاهدة القطيف.

ابن سعود وجيرانه

ابن سعود والكويت

كانت الصلات التي تربط آل صباح والسعود دائماً ودية يرعاها الفريقان بما ينميها ويقويها، وكان الشيخ مبارك يلقب أمير نجد دائماً بولدي عبدالعزيز، كما كان الأخير يلقب الأول بالوالد، وكانت مصالحهما المشتركة تقضي عليهما بالتعاون، وكان كل واحد منهما لاسيما ابن سعود كثيراً ما يقضى عن أخطاء الآخر، لأن موقفهما من أعدائهما لا يسمح لهما بدقة الحساب. ومبارك الداهية المراوغ كما يعرف كيف يرضي صديقه أمير نججد، كما كان يعرف كيف يزيل من نفسه كل أثر لسوء تفاهم يحدث.

في سنة ١٩١٥م قامت فتنة في الإحساء، ثار العجمان وهم من عشائر ابن السعود على حكمة، وكان ينفخ في بوق الفتنة بعض أبناء عمومة ابن سعود. والسبب الحقيقي للثورة هي سعي ابن سعود لتأديب العجمان الذين تجرأوا بنهب إبل لابن صباح وأهل الكويت، وكانت هذه الفتنة بعد معركة جِرَاب التي وقعت بين ابن الرشيد والن عود وخرج منهما ابن السعود منهوك القوة، ولكن العجمان بعد أن حاصرهم ابن سعود وضيق عليهم وجدوا لهم ملجأ في الكويت ، كما وجدوا ف يالكويت سوقاً لبيع منهوباتهم التي أخذوها من أهل الإحساء، فأحدث هذا العمل أثراً سيئاً في نفس ابن سعود الذي أراد أن يحاسب مباركاً على هذا العمل غير الودي، ولكن المنية عاجلت مباركا فمات بموته كل أثر لسوء التفاهم، وعاد الصفاء إلى ما كان عليه في السنة التي تولاها الشيخ جابر بن الشيخ مبارك، وقد رأي ابن سعود أن يزور الكويت ليعزي جابراً في والده، ويجدد العهد القديم عهد الصداقة والمحبة فوصل إلى الكويت في ١٩ نوفمبر سن

١٩١٦ على السفينة H. M. Jumo .

وفي اليوم التالي عقـد اجتماع خطير حضره ابن سعـود والشيخ جابر والشيخ خزعل، والسير برسي كوكس وكثير من رؤساء العشائر الموالين للبريطانيين.

وفي هذا الاجتماع خطب بن سعـود خطبة كلها ثناء على البريطانيين وهجوم على الأتراك ووصفهم بـالكفرة الملاحدة فكان أثر ذلك سيئـا في نفوس الكويتين الذين يميلون إلى الأتراك والألمان وفي هذه الزيارة تم تعارفي بالأمير عبدالعزيز[١] بن سعود .

وقد كان هذا الاجتماع مظاهرة سياسية كبرى.

ولكن ما كاد الشيخ جابر ينتقل إلى رحمة ربه ويخلفه أخوه الشيخ سالم حتى عاد سوء التفاهم مرة أخـري، حتى أدى ذلك إلى معركة حمص سنة ١٣٣٧هـ - ١٩٩م وفيـها خسر الكويـت منن المهمات والذخائر والإبل مـا لا تقل قيمـته عن ثلاثني ألف جنيه، ثم إلى معركـة الجهرة حيث حاصر الإخوان الشيخ سـالماً فيها سنة ١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م وكادوا يأسرونه لولا استعماله السياسة في فك الحصار.

وقد توفى الشيخ سـالم سنة ١٩٢١م فعاد الصفاء إلى سـابق عهده، وفي سنة ١٩٢٢م حددت الحدود بين الكويت ونجد في ميناء العُقَير.

ابن سعود والأشراف

شرحنا في فصل سابق شيئاً عن تاريخ الصلات بين الأشراف وآل سعود، كما أن الشريف حسـينا بدء عهده بإظهار عدواته لابن سعـود بالرغم مما كان يبديه ابن سعود إليه من المجاملة والتودد.

(١) وقد نشـر في كتـابي " خمـسون عـاما في جـزيرة العرب" مـا دار من حديث بين وبين الأمـير عبدالعزيز.

على أن ابن سعود بن قيام الشريف بحركته ضد الأتراك رأى أن ينتهز الفرصة لاقتلاع جذور الأحقاد القديمة وخلق جو جديد مع الشريف حسين يسوده الصفاء والمودة.

ففي الاجتماع الذي عقد بالكويت يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٦ والذي حضره الشيخ جابر واليخ خزعل والسير برسى كوكس وأعيان الكويت ألقى فيه كلمة جريئة حدد فيها موقف العرب من الأتراك فقال :

إن الأتراك قد حكموا على أنفسهم بالعزلة التامة عن باقي المسلمين، لسوء معاملتهم للشعوب الأخرى وعدم معاملتها بالإنصاف، ولقد عملوا دائماً على إضعاف العرب وتفريق كلمتهم، بينما يعمل البريطانيون على جمع كلمة العرب، ومساعدتهم على النهوض، ثم أثنى الثناء العاطر على الشريف حسين، وقيامه بثورة ضد الأتراك وقال : إن واجب كل عربي أن يساعد الشريف؛ ويتعاون معه في محاربة الأتراك. فكان لهذه التصريحات الجريئة أثرها عند البريطانيين. ولم تمض أيام قلائل حتى أبرق الملك حسين إلى ابن سعود يشكره ويهنئه على غيرته العربية ويعتذر عن عدم المراسلة.

لقد ظننا أن عهداً جديداً من التعاون والصفاء قد حل، وأن عهد الأحقاد والضغائن قد قضى عليه، ولكن ظهر أننا كنا متفائلين أكثر من اللازم.

فقد شكا أولاً الشريف حسين أن ابن سعود لا يبذل أي مجهود في سبيل القضية المشتركة، فرأى السير برسى كوكس إيفاد هيئة إلى نجد لبحث الموقف عن كثب واستنهاض همة ابن سعود. وفي أواخر أكتوبر سنة ١٩١٧ أرسل بالنيابة عنه مستر فيلبى (كرئيس للهيئة يساعده الميجر كنليف أوين والميجر هاملتون (اللورد بلهافن).

المرحوم الملك عبدالعزيز والشيخ مبارك الصباح جد الشيخ الحالي

وقد رأت اللجنة أن ابن سعود يقوم بعبء كبير، فلولا صموده ضد ابن الرشيد حليف الأتراك لقام ابن الرشيد بحرب الشريف حسين، وفي الوقت نفسه كان ابن السعود يشجع أهل القصيم بالانخراط في جيش الشريف حسين، فضلا عن ذلك فإن ابن سعود كان يحول دون أي إمداد يصل للأتراك، لقد صادر ٥٠٠ بعير من ابن برعون رسول الأتراك، كما صادر بعض القوافل المحملة مؤونة والتي كان يراد إرسالها للشام.

وهذه الأعمال وإن كانت سلبية فإنها لها قيمتها في حركة الشريف العدائية المناهضة للأتراك. غير أن ابن سعود لم يخف عن الإنكليز ارتيابه في نية الملك حسين، لاسيما بعد أن أعلن نفسه ملكا على العرب لا ملكا على الحجاز فقط. ولكن الإنكليز طمأنوه من جهة الملك حسين.

وفي شهر مارس سنة ١٩١٨ عندما اشتدت وطأة القتال في فرنسا، وتلقى جيش الحلفاء فيها ضربات شديدة من الألمان اضطر بسببها إلى التقهقر ، رأت الحكومة البريطانية أن تحدد موقفها من القضية العربية، وأن تضع سياسة معينة إزاء زعماء العرب، فتخير الجانب الأقوى والأكثر منفعة ومساعدة لمركزها الحربي، فقررت عقد مؤتمر في القهرة يضم الإخصائين في المسألة العربية سواء منهم القائمون بأمر المكتب العربي في القاهرة أو موظفو الخليج العربي التابعون لحكومة الهند.

ففي يوم ٢٣ مارس وصل السير برسى كوكس إلى القاهرة ليمثل رأى موظفي الخليج، وعقد الاجتماع تحت رياسة السير ريجنلد ونجت المندوب السامي في مصر بحضور كل من الجنرال كليتون، والكومودور هوجارت، والميجر كورنوالس، وهم ممثلو المكتب العربي بالقاهرة، وبحضور الكولونيل سيريل

ولسون ممثل الحكومة البريطانية ف يالحجاز. وكان السير برسي كوكس هو الممثل الوحيد لموظفي الخليج وحكومة الهند. ولكن خبرته الواسعة ومعرفته بحقيقة الأمور في الجزيرة وإلمامه بتفاصيلها الدقيقة ساعده في إقناع المجتمعين باسستحالة تكوين اتحاد عربي تحت زعامة الشريف حسين. ولقد بدأ باستعراض مركز ابن سعود، فأبان بأنه يشك كثيراً في نيات الشريف فضلا عن الغيرة والتنافس القائمين بين الزعيمين، وأدلى السير برسى بيقينه من أن ابن سعود لن يقبل زعامة الشريف مطلقا، رغم احترامه للشريف لمكانته العائلية، كما أبان أن ابن سعود كان صريحاً ومخلصاً في كل معاملاته مع الحكومة البريطانية وعترفاً لها بكل ما قدمته له من خدمات. وهو شخصياً لا يعتقد أن ابن سعود ينوي أن يهاجم الشريف حسين طالما الحرب دائرة رحاها، لأنه يشعر تماماً بالتزاماته قبلنا من جهة ويعلم من جهة أخرى أن الإحساء والقطيف اللتين هما خير ممتلكاته تصبحان تحت رحمتنا إذا ما هو رسم لنفسه سياسة معارضة لمصالحنا، فضلا عن أن نجد نفسها تسورد جميع حاجياتها من موانينا. وزيادة على ذلك فإن ارتياب ابن سعود في نيات الشريف حسين تقضي عليه بأن يعزز مركزه في بلاده ويدعم سلطانه فيها، ودلل السير برسى كوكس على صحة عقيدته هذه باجتهاد ابن سعود في توسيع نطاق حركة الإخوان لتكون دعامته القوية. دفع كل عدوان خارجي على بلاده. ولقد رأي المجتمعون أن لا حاجة تدعو الحكومة البريطانية لإخبار الشريف حسين بموقفها تجاه طلبات ابن سعود وبموافقته عليها، ولكن إذا طلب الشريف حسين معرفة موقف الحكومة البريطانية مع ابن سعود فليس هناك ما يمنع من إعطائه كل الحقائق.

وبحث المجتمعون بعد ذلك موقف ابن الرشيد، فأدلى السير برسيى كوكس برأيه في ذلك فقال : يجب علينا ف يهذا الموقف أن لا نعارض ابن سعود في

احتلال حايل إذا سنحت له الفرصة ووجد في نفسه قوة تمكنه من ذلك.

ثم بحثوا في ادعاء الشريف حسين في تلقيب نفسه بملك العرب، فأبان السير برسى استحالة قبول ابن سعود لزعامة الشريف حسين، وأوضح لهم مبلغ الخطر في فرض هذه الزعامة بالقوة على ابن سعود.

وما كادت الحرب العالمية تنتهي حتى رأى ابن سعود الأشراف يكادون يحبطون به من كل جانب في الحجاز والعراق وشرقي الأردن وما كاد يستول على حايل حتى وجد نفسه في مشكلة من المشاكل العويصة، فإن قسما من عشائر شمر عز عليهم أن يحكمهم ابن سعود، أو بعبارة أخرى عز عليهم أن يفقدوا سلطانهم فرحلوا إلي العراق، فطلب من حكومة العراق تسليمهم، فأخذت تماطل في ذلك، ويقول فيليب جريفز في «كتابه حياة السير برسى كوكس» الذي جمعه من أوراقه ومن وثائق أخرى: إن السير برسى كوكس بعد أن رأي من الحوادث ما عسى أن يقع من القلاقل والاضطرابات طلب إلى السلطان ابن سعود أن يجتمع مع الملك فيصل لإيجاد جو من حسن التفاهم بين نجد والعراق في المسائل المختصة بالحدود والقبائل، ولكن ابن سعود طلب إلى كوكس تعيي المبادئ وتحديدها لعقد اتفاقية بين البلدين قبل الاجتماع.

وقد رأى كوكس أن يكون مبدأ التفاهم على أساس أن قبائل المنتفق وعنزة والضفير عراقية، وأن خط الحدود يجب أن يعين بين البلدين حسبما تقتضيه حقوق الرأي بالنسبة للأماكن الواقعة على الحدود. وفي هذا الوقت حصل ما يؤسف له فإن الملك فيصل عين في شهر يناير سنة ١٩٢٢ يوسف بك السعدون من عائلة السعدون الشهيرة في العراق ليتولى قيادة الهجانة في الحدود الجنوبية، وكان يوسف بك على غير صفاء مع شيخ الضفير الذي ذهب إلى الرياض وأعلن

انفصاله عن العراق ولبس العمامة شعار الإخوان ورجع ومعه عامل الزكاة لجمع الزكاة من الضفير. وقد اجتمع في الوقت عدد كبير من الإخوان لمناصرة شيخ الضفير، وقد أحدث ذلك قلقاً عظيماً على الحدود العراقية.

وفي اليوم الحادي عشر من شهر مارس هاجم فيصل الدويش وهو أحد أعلام الإخوان حملة الهجانة وقبيلة المنتفق في مكان يبعد عن الطريق الحديدي بين البصرة والناصرية بثلاثين ميلا فقتل عدداً كبيراً منهم وشتت شمل الآخرين.

وبينما كان السير برسى كوكس ينتظر تعليمات من حكومة البريطانية، أرسل قوة من الطائرات لتراقب مراكز الإخوان.

وفي يوم ١٤ مارس أطلق الإخوان النجديون النار على قوة الطيران البريطانية، فأمر السير برسى قوة الطيران أن تقابلهم بالمثل، وحذر في الوقت نفسه ابن سعود من سوء العقبى .

ولقد أكد السلطان للسير برسى بأن فيصل الدويش قام بما قام به من تلقاء نفسه وبدون إذن منه وأنه سينزل العقاب بكل مسئول:

ولقد أطلع السير برسى كوكس الملك فيصل والنقيب على مضمون كتاب ابن سعود وجوابه عليه وأنه طلب إلى ابن سعود أن يأمر قواته بالانسحاب إلى خط الحدوب بين البلدين وقد أجابه السلطان إلى ذلك. وقد انتهت المفاوضات التي دارت بين مندوبي الطرفين في المحمرة على اعتبار أن قبائل المنتفق والضفير وعنزة التي تسكن بين النهرين قبائل تابعة للحكومة العراقية، وتعيين آبار المياه والمراعي التي تجوبها هذه القبائل.

وقد اتفق مندوبو الحكومتين على :

الملك عبدالعزيز بن سعود والمرحوم الملك فيصل

على ظهر البارجة «لوبن» سنة ١٩٣٠

(١) معاقبة القبائل المغيرة من جانبها.

(٢) وأن تحمي طرق قوافل الحجاج في بلادها.

(٣) وأن تبقى الرسوم الجمركية على ماهي عليه في الوقت الحاضر.

ولقد أصر مندوبو ابن سعود على أن تلغى المعاهدة بين البلدين إذا قطعت إحدى الحكومتين صلاتهما مع الحكومة البريطانية.

ولقد حدث أن استقالت وزارة النقيب، وبعد ثلاثة أيام من استقالتها سافر السير برسى إلى الخليج.

وبينما كان مؤتمر الصلح منعقداً كان من الضروري تعيين الحدود الجنوبية مع ابن سعود الذي رفض إقرار معاهدة المحمرة، فتوجه السير برسى إلى العقير ومعه صبيح بك نشأت وزير الأشغال السابق وفهد بك الهذال رئيس قبيلة عنزة العراقية والميجر مور قنصل الكويت والميجر ديكسون، فتقابلوا مع السلطان هناك حيث قال لهم: إن حدوده هي الفرات، ولكن السير برسى لم يقبل ذلك: وبعد مناقشات حادة كادت تؤدي إلى أزمة قبل ابن سعود تعيين خط الحدود الذي اقترحه السير برسى كوكس والذي هو الآن خط الحدود القائم بين البلاد العربية السعودية والعراق.

ولما رأى البريطانيون أن المعاهدة المذكورة لم تف بالغرض عمدوا إلى محاولة أخرى لاقتلاع جذور الخلف بين ابن سعود والأشراف، وإزالة كل أسباب سوء التفاهم بين الأشراف وبين الأشراف وابن السعود، فعقدوا لهذا الغرض مؤتمر الكويت. وهو الذي سنتكلم عليه في الفصل التالي: